تتكامل عناصر الجاذبية السياحية في مدينة زغوان التونسية التي تحتضن أكبر المعابد الرومانية في البلاد، وتضم ثروات بيئية فريدة من ينابيع مياه وكهوف تجذب آلاف الزوار والسياح

معبد المياه اسفل الجبلين (العربي الجديد)

معبد زغوان

سياحة على سفح ينابيع تونس

تونس ـ **مريم الناصري**

على ارتفاع أكثر من 1200 متر عن سطح الأرض، وقرب أكبر جبلين في مدينة زغوان التي تبعد 60 كيلومتراً من شمال شرقي تونس العاصمة، شيّد الإمبراطور الروماني هادريان، خلال حقبة حكمه بين عامي 117 و138 ميلادياً، معبد المياه ذات الشكل نصف الدائري على عين أسفل الجبلين اللذين يفصل بينهما وادٍ يحمل اسم القلب، ويُطل على سهل زراعي واسع. وقد أطلق اسم زغوان المشتق من كلمة «زيكا» اللاتينية التي تدل على الماء، على المدينة لأنها تحتوي على ينابيع عذبة ومياه جوفية. وسبق تشييد المعبد بناء «الحنايا»، وهي بمثابة جسور معلّقة في شكل أقواس نصبت على أعمدة لنقل المياه من زغوان إلى قرطاج التي كانت مركز حكم الإمبراطورية الرومانية حينها، وذلك بأمر من الإمبراطور أدريانوس من أجل معالجة المشاكل الناتجة من تعرض البلاد لجفاف استمر 5 سنوات. ولا يزال جزء كبير من هذه «الحنايا» ممتداً على طول المسافة بين مدينتي تونس وزغوان.

ووفق المعهد الوطني للتراث، تعاقبت حضارات عدة على زغوان، بينها البونية والرومانية التي خلّفت معالم ومعابد ومسارح لا تزال آثارها حاضرة حتى اليوم. ويعد معبد المياه فيها من أكبر المعابد التي بنيت في تونس، وأحد أهم المعالم التي حافظت على صبغة نشأتها الأولى. يقول أستاذ التاريخ عبد الحميد بن محمد لـ«العربي الجديد»: «شيّد المعبد على الطراز الروماني باستخدام حجارة جلبت من جبال زغوان أساساً وبعض المناطق المجاورة. ويضم فسحة كبيرة في الوسط تحيط بها أدراج على اليمين والشمال، ما يجعلها تبدو كأنّها مسرح صغير شهد في العهد الروماني طقوس عبادة لآلهة الماء والبحر نبتون».

ويضيف: «يحتوي المعبد على حوض كبير تتجمع فيه المياه المتدفقة من العيون، قبل أن تنقلها الحنايا إلى قرطاج القديمة. وقد انهار بمرور الزمن جزء كبير من هذه الحنايا، لكن الطريق الذي يفصل بين منطقة المعبد وتونس العاصمة لا يزال يضم أجزاءً منها تشكل معالم أثرية مهمة اليوم».

أكثر من 500 معلم أثري

ويشير بن محمد إلى أن «المنطقة تزخر بعيون عذبة ما زالت تتدفق منها المياه، ما جعل مصانع تعبئة المياه تتركز فيها، وسط خوف الأهالي من استنزاف هذه الثروة، وتأثيرها سلباً على الميزات التاريخية للمكان الذي يستقطب آلاف السياح المتحمسين لرؤية العيون الطبيعية، والمعبد الذي لم تجف مياهه منذ تشييده. وتزداد الرحلات الداخلية خلال عطل نهاية الأسبوع والإجازات المدرسية، والتي تنقل عائلات ومجموعات شبابية وطلاباً في التاريخ والجغرافيا تحديداً».

ويقول بلال عبد المولى، أحد منظمي الرحلات السياحية في تونس: «تنقل عشرات الرحلات مئات الزوار والسياح للتمتع بجمال زغوان التي تحمل اسم سيدة المياه، وتستضيف مهرجان عرائس المياه كل صيف، والذي ساهم في التعريف بميزاتها الحضارية والثقافية وتاريخ المياه فيها، وجعلها وجهة سياحية داخلية مهمة. وقد دعت لجنة تضم خبراء في التراث المادي واللامادي في المعهد الوطني للتراث مرات إلى دعم محاولة إدراج معبد المياه على قائمة التراث العالمي، خصوصاً أن منطقة زغوان تضم أكثر من 500 معلم أثري».

جاذبية الكهوف

كذلك يشكل جبل زغوان محيطاً بيئياً فريداً يضم كهوفاً ومواقع غنيّة بنباتات وحيوانات مختلفة. وعلى بعد 10 كيلومترات من المدينة، اكتشف خبراء فرنسيون في عهد الاستعمار مجموعة كبيرة من الكهوف والمغاور، قبل أن يتابع هذه المهمة بنجاح نادي الكهوف والمغاور في زغوان بالتعاون مع خبراء من بلجيكا.

ومن أهم المواقع التي جرى اكتشافها «مغارة الشيطان» التي توجد في أعلى قمة بجبل زغوان، إلى جانب مغارة «المجانين الأربعة» التي تتراوح مساحتها بين 15 و30 متراً، ومغارة «معبد المياه» ومغارة «سيدي بوقبرين» ومغارة «وادي الدالية» ومغارة صيف 2000 ومغارة المعزة.

من هنا أصبحت المنطقة كلها تستقطب زوّاراً تونسيين كثراً يهتمون بتصوير الكهوف، خصوصاً من الشبان. ويقول عبد المولى: «يطلب مغامرون شبان كثر زيارة الكهوف، وتوفير مرشدين سياحيين لدخولها والتجوّل في المنطقة، علماً أن بعض الكهوف تتميز بأن مداخلها تتلاقى مع بعضها البعض. لكن الرحلات إلى المنطقة قد تستغرق أكثر من يوم، وتتطلب تراخيص مسبقة للسماح بتنفيذها».

باختصار

يعد معبد المياه في زغوان بين أكبر المعابد التي بنيت في تونس، وأحد أهم المعالم التي حافظت على صبغتها الأولى منذ نشأتها

■■■

خبراء التراث في تونس يدعمون محاولة إدراج معبد المياه على قائمة التراث العالمي، خصوصاً أن منطقة زغوان تضم أكثر من 500 معلم أثري

■■■

الرحلات إلى زغوان قد تستغرق أكثر من يوم، وتتطلب تراخيص مسبقة للسماح بتنفيذها

وأخيراً

نعيم الخَرَف أم جحيم الزهايمر؟

نجوى بركات

لستُ أدري ما الذي جعل فجأةً، موضوعَ الخَرَف، واسمه العلميّ الزهايمر، الذي قد يصيب بعض كبارَ السنّ، موضوعا «مرغوبا» بامتياز، تتناوله الآدابُ والفنونُ المشهديّة على اختلافها، ويلاقي اهتماما ومتابعة متزايدة من الصنّاع والجمهور على السواء. وقد لا يكون مبالَغًا تصنيفُه «مرضا» غربيا عصريا يشغل بالَ الحكومات والمجتمعات والأنظمة الصحّية، إذ تتنامى أعدادُ المسنّين في العالم، نتيجة تقدّم الطب وتحسّن شروط الغذاء والمعيش في العالم المتقدّم، وحتما أيضا لأن الحضارة الغربية لطالما عرّفت ذاتها بأنها ثقافة العقل والعقلانية بامتياز، ما يجعل اختلالات هذا الأخير وآفاته أمرا مرعبا لكثيرين. أما في الشرق، فما زال العجائز بشكل عام «يخرفون» بطبيعية ودونما افتعال، محاطين بعوائلهم، آهلين زاويةً في المنزل إلى جانب العقلاء، متمتّعين بحصانةٍ يوفّرها العمرُ المديد وصلاتُ القربى وواجب الأولاد والأحفاد، وضرورة تبادل الأدوار ورعاية الكبار كما رُعوا هم حين كانوا صغارا. في الماضي، كانت الحضارة الغربية تنظر إلى الخَرف أنه قرين الجنون، وإلى الجنون كونه رديفا للحقيقة والحرية والتفلّت من كل الموانع والقوانين. هكذا صوّر ثرفانتس بطله من دون كيخوته، فارسا هرما متوّهما قتّال أشباح وخائضا معارك وهمية ضد طواحين الهواء، في حين جعل شكسبير من الملك لير عجوزا لن يلبث أن يفارقه «بهلولُه» المهرّج، ما أن يهيم بدوره فاقدا صوابه، إثر خياراته الخاطئة وحرمان ابنته الصغرى، الوحيدة الصادقة، من بين بناته الطامعات الثلاث... لكنّ الحداثة، على ما يبدو، حوّلت خرف العجائز خطرا داهما وأرقاما مخيفة، حيث تكون نسبة انتشار المرض نحو 50% بين الذين في سن 85 عامًا وما فوق، في حين أنها أقلّ من 5% بين الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 65 - 74 عامًا. هكذا ازدهرت صناعة كاملة تستفيد من الذعر الذي يبثّه احتمال الإصابة بالزهايمر في النفوس، فلا تخلو صحيفة أو مجلة أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني من كتب ووصفات وتمارين ونشرات ونصائح واكتشافات وحبوب وأعشاب عن كيفية الوقاية والدفاع والاحتماء والعلاج، أو من ذكر المبالغ الطائلة التي تُصرف سنويا على الأبحاث والتجارب والدراسات والاختبارات، فيما يسري الهمّ في ركب المسؤولين والمعنيين حول كيفية الاهتمام بمجتمعاتٍ تتزايد أعمارُ مسنّيها، وضرورة الإسراع في تأمين بنى جديدة لتوفير «مستقبل» لائق لهؤلاء.

ولا يعود النجاح الشعبيّ الذي عرفته أفلامٌ تناولت هذا الموضوع بالذات، ومن بينها أخيرا «الأب» الذي أخرجه الفرنسي فلوريان زيلر استنادًا إلى مسرحيته «الأب» الصادرة عام 2012 ، وفيلما «ستيل أليس» (2014) و«ذو نوت بوك» (2004) من قبله، إلى براعة الممثلين والكتّاب والمخرجين، بقدر ما هو نتيجة حساسية الموضوع ووقعه إنسانيا على المشاهدين، فهناك من ناحية مشاعر الذنب التي تنتج عن استيداع الأبناء أهاليهم في مؤسسات صحّية حكومية أو خاصة، وذلك لعدم مقدرتهم على تحمّل أعباء العناية بهم في مجتمعاتٍ ذات نزعة فردية، العمل فيها طاحن والنسيج العائلي والاجتماعي مهلهل، وإنما أيضا بسبب النظر في مرآة عيونهم ورؤية ما يمكن أن يؤولوا إليه بدورهم، مستقبلا. ومثلما نجحت جوليان مور في أداء دور المرأة «أليس» التي تكتشف إصابتها بالزهايمر قبل بلوغها سنّ الشيخوخة، فتخطّط لقتل ذاتها عندما تسوء حالتها، كذلك نجح أنطوني هوبكينز في إدخالنا إلى متاهة عقل المسنّ الخرف، فاقد الذاكرة ومرتبك الشعور بالمكان والزمان، وهو يخلط بين الحقيقة والوهم، الواقع وهواجسه، الأحياء والأموات. إنها قمّة الهشاشة الإنسانية، معطوفة على وحدة الإنسان الحديث. هناك، حيث تفقد الذاكرة سقوفها وأعمدتها، تمّحي الألوان، تضيع التفاصيل، وتتشابك الوجوه. عمرٌ مديد، أجل، على ألا تكون نهايتُه في نعيم الخَرَف أو في جحيم ألزهايمر.

> هناك، حيث تفقد الذاكرة سقوفها وأعمدتها، تمّحي الألوان، تضيع التفاصيل، وتتشابك الوجوه

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50** Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**